من خزائن الكتب القديمة

في العراق (١)

بقلم : كوركيس عواد
أمين مكتبة دار الآثار ببغداد

الخزانة الكنديه

نسبت الى صاحبها يعقوب بن اسحق الكندي، فيلسوف العرب ، المتوفى ببغداد سنة ٢٤٦ هـ (٨٦٠ م) . كان عالماً في الطب والفلسفة والنجوم والحساب والهندسة والمنطق والألحان وغير ذلك . وتآليفه كثيرة تدخل في فنون مختلفة من العلم ، وقد استقصى ذكرها غير واحد من مدوني سيرته ، ولا سيما ابن النديم والقفطي (٢) .

وقد كان للكندي خزانة كتب حافلة ، ساق لنا ابن أبي أصيبعة شيئاً من أخبارها منقولة عن كتاب « حسن العقبى » لأبي جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم ، قال : « حدثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب ، قال : كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر في أيام المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة ، فأشخصا سند بن علي الى مدينة السلام وباعداه عن المتوكل (٣) .

ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل، ووجها الى داره فأخذا كتبه باسرها وأفرداها في خزانة سميت الكندية »(٤)

ولكن الحال تغيرت وانقلبت الى عكس ماذكرناه ، فان المتوكل غضب على محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر، ورضي عن سند بن علي لأمر استوجب ذلك . فكان هذا التغير سبباً في استرداد كتب الكندي وإعادة خزانته اليه بوساطة سند . فما خاطب به سند ابني شاكر : « إنكما لتعلمان مابيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة ، ولكن الحق أولى ما اتبع . أكان من الجميل ما أتيتماه إليه من أخذ كتبه ؟ والله لاذكرتكما بصالحة (امام المتوكل) حتى تردا عليه كتبه . فتقدم محمد بن موسى في حمل الكتب إليه وأخذ خطه باستيفائها . فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها . . . » (٥) .

خزانة ابن حاجب النعمان

هو أبو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم . كان أبوه حاجب النعمان أبي عبد الله الكاتب . وهو أحد الأدباء الكتاب في المائة الرابعة للهجرة ، أثنى عليه ابن النديم ووصف خزانة كتبه الحافلة النفيسة بقوله : « كان أبو الحسين أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة كتابة الدواوين، وكان إليه في أيام معز الدولة ديوان السواد. ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته ، لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة »(٦)

---

(١) مستل من كتاب « خزائن الكتب القديمة في العراق » لكاتب المقال .

(٢) الفهرست (ص ٢٥٥ ـ ٢٦١ طبعة فلوجل في ليبسك سنة ١٨٧١م) وإخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٣٦٨ ـ ٣٧٦ طبعة ليرت في ليبسك سنة ١٩٠٣) .

(٣) كان المتوكل أحد الخلفاء العباسيين الذين اتخذوا سامراء عاصمة لهم بدلا من بغداد .

(٤) عيون الأنباء في طبقات الاطباء (١ : ٢٠٧) .

(٥) عيون الأنباء (١ : ٢٠٨) .

(٦) الفهرست (ص ١٣٤) .

ثم ذكر ابن النديم أسماء مؤلفاته التي لم يتهِ إلينا شيء منها .

أما تلك الخزانة الفريدة ، فالله وحده يعرف ما كان من مصيرها بعد صاحبها !

خزانة البرقاني

والبرقاني هذا ، هو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي ، المعروف بالبرقاني ، سكن بغداد وتوفي فيها سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣م) . كان عالماً ثبتاً بالحديث ، حافظاً للقرآن ، عارفاً بالفقه ، له حظ من العربية . وقد دار الأقطار في سماع الحديث وكتابته عن كبار العلماء فتلقاه في بلده برقان ، ثم في بغداد وجرجان واسفرايين ونيسابور وهراة ومرو وبلاد أخرى .

وكان لأبي بكر البرقاني خزانة كتب كبيرة ، أشار اليها الخطيب البغدادي في ترجمته له ، بقوله : « حدثني أحمد بن غانم الحمامي — وكان شيخاً صالحاً يديم الحضور معنا في مجالس الحديث — قال : انتقل أبو بكر البرقاني من الكرخ الى قرب باب الشعير (٧) ، فسألني أن أشرف على حمالي كتبه وقال : إن سئلت عنها في الكرخ فعرفهم انها دفاتر لئلا يظن انها إبريسم ، وكانت ثلاثة وستين سفطاً (٨) وصندوقين ، كل ذلك مملوء كتباً . وقال لي عيسى بن أحمد الهمذاني : لم ينظر في كتب البرقاني كلها من أصحاب الحديث غير أبي الحسن النعيمي ، فانه نظر في جميعها وعلق منها » (٩)

(٧) محلة ببغداد ، فوق مدينة المنصور (معجم البلدان) .

[٨] السفط ، محركة : وعاء كالقفة أو كالجوالق .

(٩ تأريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤ : ٣٧٥) .

(١٠) المنتظم في تأريخ الملوك والأمم (٨ : ٨٠) .

(١١) معجم البلدان (مادة : برقان) .

وخبر هذه الخزانة ، نقله ابن الجوزي (١٠) وياقوت الحموي (١١) بمالا يكاد يخرج عما ذكره الخطيب ، فاكتفينا بالاشارة دون التكرار .

ولمح ابن كثير الى خزانة البرقاني تلميحاً خفيفاً بقوله انه « جمع كتباً كثيرة جداً » (١٢) .

وصاحب هذه الخزانة قد ترجمه غير واحد من المؤرخين كالسمعاني (١٣) والسبكي [١٤] وابن العماد الحنبلي (١٥ — ومصدرهم في الكتابة الخطيب البغدادي — ولكنهم أغفلوا الاشارة الى خزانته .

خزانة عبد السلام بن بندار القزويني

أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني الحنفي ، المتوفى سنة ٤٨٨ هـ « ١٠٩٥ م » أحد مفسري القرآن . كتب تفسيراً عظيماً وقفه على خزانة كتب مشهد أبي حنيفة « ١٦ » . وقد اختلف المؤرخون في عدد مجلدات هذا التفسير ، فبعضهم قال انه في ثلثمائة مجلدة « ١٧ » وبعضهم أبلغه الى أربعمائة ، ومنهم من قال

(١٢) البداية والنهاية في التأريخ (١٢ : ٣٦) .

(١٣) الأنساب (ظهر الورقة ٧٤) .

(١٤) طبقات الشافعية الكبرى (٣ : ١٩) .

[١٥] شذرات الذهب في أخبار من ذهب « ٣ : ٢٢٨ » .

« ١٦ » لنا كلام على هذه الخزانة ، في مكان آخر من هذا الكتاب :

[١٧] الجواهر المضية في طبقات الحنفية « ١ : ٣١٦ » وكشف الظنون للحاج خليفة (١ : ٤٥٧ طبعة وزارة المعارف التركية)